مركز فاينشتاين الدولي

قضايا العيش ، السلطة والاختيار
المخاطر المعيشية لقبائل الرزيقات الشمالية بدار فور ، السودان

ترتبط سبل العيش في دار فور ارتباطا وثيقا بالصراع ويبدو ذلك جليا للعيان في حياة الرزيقات الشمالية و هم مجموعة من القبائل التي تتحدث العربية وترعى الأبل وتعيش في ولايات دار فور الثلاث (شمال وجنوب وغرب دار فور) . و لقد ارتبط اسم الرزيقات الشمالية بالجنجويد – الاسم الملئ بالازدراء الذي يطلق على مجموعات متنوعة من رجال القبائل المسلحين والذين لعبو دورا اساسيا منذ 2003 في حرب دار فور و في العمليات العسكرية التي تقوم بها الحكومة السودانية ضد التمرد . و لم تجري محاولة لفهم الكيفية التي تاثرت بها حياة الرزيقات الشمالية و معيشتهم بالصراع الدائر في دار فور ، او لمعرفة تطلعاتهم المعيشية و آمالهم في السلام و الأمن المستقبليين . إن هذا الجهل يفسر عزلتهم عن الكثير من النشاطات العالمية الانسانية المتصلة بدار فور ، و عن عمليات السلام الدولية وحملات المناصرة الدولية .

لقد كان إدراكنا لهذه العزلة هو الدافع لهذا البحث و الذي يمثل أول دراسة ميدانية تركز على الرعاة تحديدا وعلى الرزيقات الشمالية بصفة خاصة منذ بداية الصراع. اضافة الى النظرة المسيسة لهم ، فان الاسباب الأخرى لعزلتهم تتمثل في تقدير المجتمع الدولي بانهم اقل تضررا مقارنة بمجموعات أخرى و في صعوبة الوصول اليهم خاصة انهم يعيشون في مجتمعات ريفية متناثرة . وفوق كل ذلك تاثروا بالوضع المنبوذ الذي الصق بهم .
و يستخدم بحثنا هذا معيار كسب المعيشة لتبيان العمليات التي شكلت مخاطر العيش التي يتعرض لها الرزيقات الشمالية و اوصلتهم إلى وضع جعلهم راغبين في الدعم النشط للعمليات العسكرية المضادة التي تقوم بها الحكومة ضد متمردي دار فور. إن هذه العمليات لها جذور تاريخية عميقة مغروسة في التفاعلات المعقدة بين الناس والبيئة والعمليات المؤسسية والسياسية . إن الدروس التي نتعلمها من هذه الحالة المحددة لها آثار واسعة ليس فقط على احتمالات السلام وانما ايضا على السياسات الرعويه ، و ملكية الارض والتكيف على التغيرات المناخية وعلى إدارة الموارد الطبيعية والتدخلات الانسانية .
يشتمل هذا البحث و توصياته على ثمانية محاور تهدف إلى :

- مراجعة السياسة نحو الرعاة بنهج تشاركي : وذلك لتشجيع التناغم في السياسات بين الوزارات المختصة بقضايا الرعاة و لتمكين السياسات من أن تقوم على معلومات ميدانية دقيقة و تستند على الواقع المحلي .
- تطوير استراتيجيات المناصرة حول رعاة الابل تشارك فيها منظمات المجتمع المدني الوطنية تبرز الاهمية الاقتصادية للعرب الابالة (الذين ينتمي اليهم الرزيقات الشمالية) للاقتصاد الوطني . إن المناصرة تعتبر عملا حيويا لايقاف عمليات التهميش والاهمال و لرفع الوعي المحلي و الدولي .
- توطين عملية السلام على المستوى المحلي و خلق روابط أقوى بين مستويات عمليات السلام من المبادرات المحلية والى المبادرات الكبرى . إن مسائل العيش تقوم في أغلب الاحيان على الفوائد المتبادلة وعلى الاتفاقات التي يتم التفاوض عليها محليا . إن هذه التجربة و فكرة حقوق المجموعات في مناطق عيشها يجب ان يتم الاعتراف بها رسميا و ان تؤثر على السياسات العليا.
- خلق روابط بين سبل معيشة الرعاة والتنمية :وتتمثل الاولويات في التعليم ، الصحة و تنمية المرأة .

Feinstein International Center
200 Boston Avenue
Suite 4800
Medford, MA 02155
USA
tel: +1 617.627.3423
fax: +1 617.627.3428
fic.tufts.edu

Feinstein International Center

- تحسين المحاسبية : بناء الشفافية والاستجابة و ذلك بتطوير قدرات مؤسسات الحكم الرئيسة مثل مفوضية الرعاة التابعة للحكومة السودانية ومفوضية المرأة .
- دعم الجيل الجديد من القادة : بتطوير القدرة على الفهم والتعبير عن الاحتياجات المحلية و تشجيع تنمية المجتمع المدني والمنظمات الطوعية المحلية و تمكين الشباب من التعامل مع السلطات الحكومية والجيش .
- ايقاف وتيرة عمليات العسكرة المرتبطة بسبل كسب العيش .
- اتباع افضل الممارسات ، البحوث المشتركة و التعلم المشترك : يجب أن يقوم التدخل على أفضل الممارسات الاقليمية تجاه الرعاة ، وعلى بناء و تعبئة قدرات الجامعات المحلية و مساعدتها على إدراج مسائل الرعى وسبل العيش و الصراع في مناهجهم الدراسية و على توسيع أجندتهم البحثية بالتعاون مع المؤسسات المحلية والدولية .

إن هناك الكثير المشترك بين رعاة دار فور و الرعاة في المناطق الاخرى المتاثرة بالنزاعات في إفريقيا وغيرها و الذين يواجهون تحديات مماثلة و ذلك بسبب التهميش الاجتماعي و الاقتصادي والسياسي الذي يتعرضون له . و يجب النظر إلى الحالة الدار فورية في اطار الحوار الراهن حول الرعي والتكيف المناخي، ملكية الارض وحقوق الرعاة . و من جانب آخر فان الدروس المتعلمة من دار فور لها آثار سياسية إقليمية و دولية واسعة .

يهدف البحث إلى فهم اسباب مخاطر العيش والتي كثيرا ما تكون لها جذور تاريخية عميقة و تكمن في علاقات التفاعل المعقد بين الناس ، والبيئة والعمليات المؤسسية والسياسية . أن الهدف الاكبر لهذا البحث هو تشجيع عملية الفهم و رفع الوعي في السودان و في الخارج بالتحديات المعيشية التي تواجه مجموعات رعوية محدده في دار فور و تشجيع ضمهم كاصحاب مصلحة في عمليات العون الانساني الدولية والوطنية لمقابلة الاحتياجات الانسانية و تشجيع السلام و النمو . إن العنف المريع و خروقات حقوق الانسان التي سجلت في دار فور ، ليست موضوع هذا البحث . إننا لا نريد تبرير أو إدانة العنف . و لكن هدفنا هو معالجة الفجوة المعرفية حول سبل كسب العيش و المخاطر المعيشية التي تواجه هذه المجموعات . و يتم ذلك لمواجهة الفهم المبتثر والذي يجعل من هذه المجموعات مليشيات سلب و نهب .

يقدم الفصل الثاني خلفية حول الرزيقات الشمالية ، تاريخهم وهويتهم ويصف كيف تفاعلت عوامل الهجرة و القبيله و البيئه لكي تؤثر على سبل عيشهم وخلق وعاءا رعويا غطى كل إقليم دار فور . و يكشف لنا ذلك أن التركيز على أن الانتماء العرقي لا يوفر اساسا سليما لفهم الازمة . إن التركيز على مسألة الموارد باستخدام معيار سبل المعيشة يوفر رؤى أكثر وضوحا لفهم علاقات السلطة و دوافع المجموعات المختلفة المشاركة في العنف كما وانه يؤسس أرضية لسلام دائم .

أما الفصل الثالث فيبحث في عمليات التهميش التاريخية الطويلة الامد (والتي تعكس تمييزا إقليميا أوسع ضد الرعاة) يمتد من الفترة السابقة لعهد الاستعمار و حتى عام 2003 م . إننا نرى أن مخاطر العيش المهددة للرزيقات الشمالية هي التي دفعتهم إلى المشاركة بنشاط في استراتيجية الحكومة العسكرية المضادة للمسلحين في عام 2004 م مما صورهم في عالم ما بعد 11 سبتمبر بالجنجويد الاشرار .

لقد اظهر بحثنا ان السياسات التاريخية و العمليات المؤسسية قد ساهمت في خلق علاقات سلطة غير متكافئة ولم تأخذ مصالح الرزيقات الشمالية في الحسبان و زادت من حدة التوترات بين الرعاة والمجموعات المستقرة وبين الرزيقات الشمالية والسلطات الاقليمية والقومية . يقوم البحث بدراسة نظم ملكية الارض (والغير عادلة) و التي ترجع جذورها إلى سلطنة الفور في القرن السادس عشر وتأثيرها على إدارة الموارد الطبيعية. واستمرت نظم هذه الملكيه خلال الحكم الثنائي و عقب استقلال السودان . و قد خلق ذلك هرما للحقوق في الموارد الطبيعية اضرت بالرزيقات الشمالية . إن الافقار وتهميش الرزيقات الشمالية والمجتمعات الرعوية الاخرى انما هو نتاج للعمليات الاقتصادية – الاجتماعية ، السياسية والايكولوجية التي ساهمت الدولة من خلالها في ابعادهم عن السلطة وعن الوصول للموارد الطبيعية .

و يقوم الفصل الرابع باستخدام نتائج البحث لتحليل تجربة الرزيقات الشمالية خلال الحرب بما في ذلك تجنيدهم النشط بواسطة الحكومة ، واستبعادهم من قبل المتمردين و كيف تغيرت استراتيجياتهم المعيشية السابقة منذ عام 2003 م . و نتيجة للهجمات العنيفة ، والاعتداء على الماشية ، قفل مسارات الرعاة و خطفهم وقتلهم فقد اضطروا للتحرك إلى مناطق أكثر أمنا كما صار العديد منهم نازحين – و هي حقيقة لا يتم الاعتراف بها أو الكتابة عنها .

إن النمط المعيشي للرزيقات الشمالية يمر بتحول سريع صاحبته تغيرات كاسحة في نمط الحياة . لقد ضاق المجال الرعوي كثيرا ، ولعل ما رافقه من قفل مسارات الماشية و طرق التجارة و انعدام الأمن قد أثرا بصورة سيئة على نمط العيش التقليدي . و قد اصبحت حركة الرعاة السنوية مقتصرة على المناطق الآمنة مما منعهم من الوصول إلى مراعيهم المفضلة خاصة في الشمال . إن سيطرة الزغاوة – غير العرب وشبه الرعاة الذي يعيشون في السودان و تشاد - على هذه المنطقة الشمالية من دار فور قد أدى إلى إغلاق طرق تجارة الماشية مع ليبيا ومصر و هي مصدر مهم لمعيشة الكثير من الناس . و يهيمن الزغاوة الآن على الجزء الاكبر من هذا الطريق التجاري . لقد اثرت المناطق المحصورة ايضا تاثيرا سلبيا على هجرة العمال إلى ليبيا وهي استراتيجية معيشية أخرى للرزيقات الشمالية .

لقد قاموا بسرعة بتنويع استراتيجياتهم في تكيف مضر قصير و طويل الأمد سريع العائد و يعتمد على اقتصاد أسير شديد التشوه يتكون من النازحين , إن العسكرة السريعة واستخدام التخويف والعنف كوسيلة للسيطرة و التحكم في الوصول إلى الموارد الطبيعية (الموارد الغابية والوصول إلى الارض الزراعية) هي أمثلة على سوء التكيف المعيشيي الذي يقوض معيشة الآخرين . إن حطب الوقود ، خاصة في غرب دار فور ، هو مصدر كبير للدخل للرعاة الذي صاروا يستقرون بصورة متزايده و النازحين الذين صاروا أكثر تحضرا والذين يزداد قلقهم من خطورة جمع حطب الوقود على سلامتهم وامنهم . و بينما عملت استراتيجاتهم للتكيف المعيشي على توسيع خياراتهم و قوت من انواع معينة من راس المال المعيشي ، فان انواع اخرى من الوسائل المعيشية قد قلت بدرجة خطيرة . إن نزوح الكثير من المزارعين والرعاة إلى المدن و المعسكرات قد اعطى الرعاة اليد العليا في الريف ولكنه في الوقت نفسه قد أزال جزءا لا يمكن الاستغناء عنه من التركيبة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعهم . إن اختفاء المجتمعات الزراعية الريفية قد دمر الاسواق المحلية التي يعتمد عليها الرعاة لشراء السلع الضرورية ولبيع منتجاتهم . كما أدى فقدان راس المال البشري والسياسي إلى خفض اصولهم إلى مستويات أقل مما كانت عليه قبل الحرب . ويعكس ذلك التهميش المتزايد الذي يتعرضون له منذ عام 2003 م والمخاطر التي سببتها العسكرة وتقييد مجال حركة الرعاة والاعتماد على اقتصاد الحرب والسيطرة على الموارد عن طريق العنف .
إن رعاة الابل يتعرضون لخطر كبير كنظام معيشي نتيجة للقيود على المسارات بسبب انعدام الأمن ، و السياسات المتحيزة وغير المناسبة ، والضغوط و الحوافز الاقتصادية لاستراتيجيات التكيف المعيشي السيئ . إن الاهداف التقليدية في البحث عن النفوذ والوضع الاجتماعي عن طريق امتلاك و رعي الابل قد حلت محلها قيم حديثه تقوم على البحث عن النفوذ المرتبط بالعسكرة والتعليم .
إن عمليات سوء التكيف المعيشي خلال الاعوام الخمس الماضية قد تأثرت بالتواتر السريع في السياسات والمؤسسات التي تستمر في تشكيل المخاطر و نمط العيش في المستقبل . وتشمل هذه عمليات الاستقرار ؛ عسكرة الشباب ؛ الاستقطاب الاجتماعي ؛ فقدان الاسواق المحلية والاقليمية ؛ الحكم الراشد وعمليات الاستبعاد الدولي و التشويه المتعمد . ويمثل ذلك خليط من خيارات المعيشة المرتبطة بالبحث عن السلطة والعمليات المستمرة التي تظل تشكل مهددات العيش للرزيقات الشمالية .

الفصل السادس يشمل الخلاصة و ثمانية مجالات للتوصية ومعها اعتبارات أخرى أكثر عمومية . إننا ندعو إلى ضرورة إعادة النظر في نظريات التعرض للمخاطر النابعة من النماذج الغربية للاغاثة والعون التنموي . هناك حاجة لمنظور طويل الاجل لفهم الانماط المعيشية الحالية ولفهم علاقات القوة والموارد . و يجب الا ينصرف اهتمامنا بمفاهيم العرق والجنس ، إزدراء الرعاة و تصوير الرزيقات الشمالية كشياطين لتورطهم في صراع لم يقوموا بصنعه .
وبالرغم من عدم وجود نموذج للعمل الانساني بمثابة " مقاس واحد لجميع الاشخاص" في دار فور ، فان هناك مبادئ ترتبط بمواثيق العمل الانساني و حقوق الانسان والتي تحتاج بالضرورة للتاكيد عليها . وتشمل هذه المبادئ

الحق في حياة كريمة ، عدم التمييز ، الحياد و المشاركة . هناك حاجة لتحليل أكثر عمقا لسبل العيش على المستوى المحلي .
وتجرى مبادرات سلام محلية وتحتاج لان تتم بوتيرتها الخاصة وان تشجع . و لكن تاثيرها سوف يكون محدودا مالم يتم دعمها بنظام واسع للحكم الراشد . إن تقوية الحكم الراشد علي كافة المستويات سوف يساعد على تشجيع الحوار الهام بين المواطنين والمجتمع المدني والحكومة ويطور المشاركة في صياغة السياسات وتطبيقها . إن الحكم الراشد واحترام حكم القانون هو شرط لسلام دائم ولايقاف عمليات التهميش السياسي الطويلة الامد ، الافقار الاقتصادي و الاقصاء الاجتماعي . لهذا فان الكثير من التوصيات المحددة في هذا التقرير ترتبط بالحكم و القدرات الحكومية على كافة المستويات .

إننا نحث العاملين في المجال الانساني ان يضعوا في الاعتبار الوضع الحرج للمجموعات الرعوية وأن يعوا بان احتياجات هذه المجموعات تختلف نوعيا عن احتياجات النازحين . إن الاقصاء ، الاهمال والتهميش هي إرث مؤسف للسياسات الاستعمارية و لفترة ما بعد الاستعمار والتي لا يمكن أن يستمر المجتمع الدولي ، بما في ذلك العاملين في العمل الانساني ، في تعزيزها و منحها الشرعية .
إن عمليات السلام الدولية يجب أن تولي اهتماما أكبر بالرعاة . ويعني ذلك سبر قلب التوترات و الصراعات المحلية وفهم حقيقة كنهها و كذلك علاقتها بالعمليات والسياسات والمؤسسات القومية والدولية . إن المهمة ليست فقط التفكير في احداث الاعوام الخمسة الماضية في دارفور بل التركيز بصورة اساسية على عمليات التهميش ونظم الحكم الغير عادل علي المستوي الفيدرالي والولائي والمحلي .